جامعة الدول العربية

معهد المخطوطات العربية

مجلة
معهد المخطوطات العربية

المجلد الحادى والعشرون — الجزء الأول

مايو (أيار) ١٩٧٥

منظومة ابن حزم فى
(قواعد أصول فقه الظاهرية)

تَعدَّى سبيلَ الرُّشْدِ مِنْ جارٍ واعْتَدى ... وضَاءَ لَهُ نُورُ الهُدَى فَتَبَلدا
وخَابَ امرؤٌ وافاهُ حُكْمُ مُحَمَّدٍ ... فَقَالَ بآراءِ الرجالِ وَقَلَّدا
نَبِيٌّ أَتَى بالنورِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... وَمَا جَاءَ مِنْ عِنْدِ الاله هُو الهُدَى
أَرَى النَّاسَ أَحْزاباً وكلٌ يَرَى الَّذِى ... يَجْنِى بِهِ المُنْجِى وسَائِرُهُ الرَدَى
وأَلْقَوْا كتابَ اللهِ خَلْفَ ظُهُورِهِم ... وقولَ رسولِ اللهِ، وَيْلَهُم غَـدَا !
وَقَالُوا : بأَنَّ الدينَ لَيْسَ بِكاملٍ ! ... وَكَذَّبَ ما قَالُوا الالهُ وَفَنَّـدَا !
وَمَا فَرَّطَ الرحمنُ شَيْئاً ولَمْ يَكُنْ ... نَسْياً وَلَمْ يَتْرُكْ بَرِيَّتَهُ سُـدَى
وَقَدْ فَصَّلَ التَحْرِيمَ والحلُّ كُلَّهُ ... وَبَيَّنَ أَحْكَامَ العِبَادِ وَسَـدَّدَا
وَعَلَّمَ وَجْهَ الحُكْمِ فِيمَا اعْتَدَوْا بِهِ ... وَنَصَّ عَلَيْهِ الحُكْمَ نَصّاً وَرَدَّدَا
وَلَمْ يَتَعَبَّدَنا بِعَنَتٍ وَلَمْ يُـرِد ... يُكَلِّـفُ مَالَا نُطِيقُ تَعَبُّـــدَا
وَحَرَّمَ قَوْلَ الظَّنِّ فِى غَيْرِ مَوْضِعٍ ... وَأَنْ تَقْتَفِى مَا لَسْتَ تَعْلَمُ مَوْعِدَ !

* * *

أَخِي عُدْ عَنْ سُبُلِ الضَلَالِ ! فَإِنَّنِى ... رَأَيْتُ الهُدَى أَهْدَى دَلِيلًا وأَرْشَدَا
ودَعْ عَنْكَ آراءَ الرِجَالِ وقَوْلَهُم ... وخُذْ بِكِتَابِ اللهِ نَفْسِى لَكَ الفِدَا !
وقُلْ لِرَسُولِ اللهِ : سَمْعاً وطَاعَةً ... إِذَا قالَ قَوْلًا أَوْ تَيَمَّمَ مَقْصِدَا
أَوَامِرُه حَتْمٌ عَلَيْنَـا وَنَهْيُـــهُ ... نُلَاقِيهِ بالاقْلاعِ عَنْهُ مُجَرَّدَا
حَرَامٌ وفَرْضُ طَاعَةٍ قَدْ تَيَقَنَـتَ ... وَمَنْ تَرَكَ التَخْيِيرَ والوقُوفَ سَدَّدَا
فإِنْ بِيدَ بُرْهَانٌ يُبَيِّنُ أَنَّـــهُ ... عَلَى غير ذا صِرْنَا مَعاً للذِى بَدَا
وأَفْعَالُهُ اللَّاتِى تُبَيِّنُ وَاجِبـاً ... مِنَ اللهِ فاحْمِلْهَا عَلَيْهِ وَمَا عَدَا

على أُسْوةٍ لا زِلْتُ مَوْتَسِياً بِهِ ... وَلَيْسَتْ بِفَرْضٍ والسَعِيدُ مَنْ اقْتَدَا
وإقْرارُهُ الأَفْعَالَ مِنْهُ إِبَاحَةٌ ... لَهَا فَمُحَالٌ أَنْ تُقَرَّ مَنْ أَفْسَدَا
وَمَا صَحَّ عَنْهُ مُسْنَداً قُلْ بِنَصِّهِ ... وَإِيَّاكَ لَا تَحْفَلْ بِمَا لَيْسَ مُسْنَدَا
وَسَوِّ كِتَابَ اللهِ بالسُنَّةِ التِّى ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو مِنَ الرَدَى
سَوَاءٌ أَتَتْ نَقْلَ التَوَاتُرِ أَوْ أَتَت ... بِمَا قَدْ رَوَى الآحَادُ مَثْنَى وَمُوَحَّدَا
وَقُلْ : إِنَّهُ عِلْمٌ وَلَا تَقُلْ إِنَّهُ ... مِنَ الظَّنِ لَيْسَ الظَّنُ مِنْ دِينِ أَحْمَدَا
فَكُلٌّ مِنَ الوَحْيِ المُنَزَّلِ قَدْ أَتَى ... من اللهِ إِنَّ الذِكْرَ يُحْفَظُ سَرْمَدَا
وخُذْ ظَاهِرَ الأَلْفَاظِ لا تَتَعَدَّها ... إلى غايةِ التَأْوِيلِ تَبْقَ مُؤَيَّدا
فتأْويلُها تَحْرِيفُها عن مَكَانِهَا ... ومَنْ حَرَّفَ الأَلْفَاظَ حَادَ عَنِ الهُدَى
فَإِنْ جَاءَ بُرْهَانٌ بِتَأْوِيلِ بَعْضِهَا ... فَالْقِ إِلى الحَقِّ الذى جَاءَ مُقَلَّدَا
وَكلُّ عُمُوم جَاءَ فالحقُّ حَمْلُهُ ... على مُقْتَضَاهِ دُونَ أَنْ تَتَرَدَّدا
وإن جَاءَ بالتخصيصِ نَصٌّ فُخُصَّه ... بِهِ وَحْدَه واحْذَر بِأَن تَتَزَيَّدا !
واخرِجْ قَلِيلًا مِنْ كَثِيرٍ وإِنْ بَدَتْ ... مُعَارِضَةٌ فاشْدُدْ عَلَى الزَانِدِ اليَدَا
وإِنْ صَحَّ مَا بَيْنَ النصوصِ تَعَارُضٌ ... فَمَنْسُوخُها مَا جَاءَ مِنْهُنَّ مُبْتَدَا
وإن عَدَمَ التاريخُ فِيهَا فَخُذْ بِمَا ... يَزِيدُ عَنِ المَعْهُودِ فى الأَصْلِ تَرْشُدَا
تَكُنْ مُوقِناً إِنْ قَدْ أَطَعْتَ وَتَارِكاً ... لِكُلِّ مَقَالٍ قِيلَ بالظَنِّ مُبْعَدَا
وكُلُّ مُبَاحٍ فى الكتابِ سِوَى الَّذى ... يَفْصِلُ بالتَحْرِيمِ مِنْهُ مُعَدَّدا
وإِنْ لَمْ يَرِد نصٌ بإِلْزام طَاعَةٍ ... مِنَ اللهِ لَمْ يَلْزَمْكَ أَنْ تَتَعَبَّدَا
وعندَ اختلَافِ الناسِ فالحُكْمُ رَاجِعٌ ... إِلَيهِ وَبالاجْمَاعِ مِنْ بَعد يُهْتَدا
وذاكَ سبيلُ المُؤْمِنِينَ وَمَنْ يُرِد ... خلافَ سبيلِ المؤمنينَ فَمَا اهْتَدَى
ولا تَدَعْ الاجْمَاعَ فِيمَا جَهِلْتَهُ ... وَلَمْ تَعْلَمِ التَحْقِيقَ جَمْعاً ومُفْرَدا

وإنْ امرؤٌ فِي الدينِ حَكَّمَ نَفْسَه ... قياساً أو استحسانِ رأيٍ لَزَّ واعْتَدَى

فتلكَ حدُودُ اللهِ لا تَعْتَدِنَهَـــا ... ومَنْ قَالَ بالتَعْليلِ فيهِ قَدْ اعْتَدَى

وجَاءَ بدَعْوَى لا دليلَ يُقِيمُهَـــا ... وأَسْرَفَ فِي دينِ الالهِ وألْحَدَا

ومَنْ قَالَ مُحْتَاطاً بِرَدْعِ ذَرِيعةٍ ... برأْيٍ رَآهُ قَدْ أَتَى اللَّهْوَ والرَدَا

مُحلَّ حَرَامٍ أَوْ مُحَرِّمَ مَا أَتَى ... بتَحْلِيلِه خُطَى الكتابِ تَعَمُّدَا

وَمَنْ يَدَّعِ نَسْخاً على الحُكْمِ لَمْ يَجِئ ... على ذاكَ بالبُرْهَانِ لَيْسَ مُفَنِّدَا

ولا تَنْتَقِلْ عن حالِ حُكْمٍ عَلِمْتَه ... لقولٍ عَنِ الاجْمَاعِ والنصِّ جُرِّدَا

مِنَ الحِلِّ والتَحْرِيمِ أَوْ مِنْ لوازمٍ ... عَليكَ إنَّه لا تُعَدُّ السبيلَ المُمَهَّدَا

ولا تَلْتَفِتْ حُكْمَ البِلَادِ وَجَرْيَهَا ... عَلَى عَمَلٍ مِمَّن أَغَارَ وأَنْجَدَا

وإنْ لَمْ تَجِدْ نَصّاً على الحُكْمِ فَالْتَمِس ... إلى قَصْدِهِ جَمْعَ النُصُوصِ لِتَرْشُدَا

فَتَمْنَحُ حُكْماً يَبْنِهَا قَدْ جَعَلْتَهُ ... وتَجْمَعُ شَمْلًا كانَ منها مُبَدَّدَا

وذَاكَ على مَعْنَاهُ نَصٌّ وإنَّـــه ... لَحَقٌّ كَمَا لَوْ كَانَ نَصاً مُجَرَّدَا

وهَذَا الذى يَدَّعِي اجتهاداً وليْسَ مَا ... تَقُولُهُ أُولُو الآراءِ تَلْدُدَا !

وَأَثْقَلَهُم جَمْعُ النُصُوصِ فأَظْهَرُوا ... عَلَى الدِينِ نُقْصَانَ النُصوصِ تَبَلُّدا

وقَالُوا : لَنَا إكْمَالُهُ وتَمَامُـهُ ! ... تَبَارَكْتَ رَبِّ أَنْ تَكُون مُفَنَّدا !

وقَدْ قُلْتَ : إنَّ الدينَ أَكْمَلتَه لَنَا ... وَفصَّلْتَهُ والحَقُ مَا قُلتَ مُمَجَّـــدَا

ولا تَلْتَفِت عِنْدَ الخِطَابِ دَلِيلُهُ ... ولا تَلْتَزِم شَرْعاً سِوَى شَرْعِ أَحْمَدَا

فكلُ نَبِيٍّ خُصَّ إنْذَارَ قَوْمِـــهِ ... وأَحْمَدُ عَمَّ النَّاسَ أَدْنَى وَأَبْعَدَا

واخْلِصْ لَدَى الأَعْمَالِ نِيَّتَكَ التِّى ... بِهَا تَرْتَقِى الأَعْمَالُ للهِ مُصعدَا

وَصَلِّ على الزَاكِى المُجِيرِ مِنَ العَمَى ... نَبِيِّ الهُدَى خَيْرِ الأَنَامِ مُحَمَّدَا

وللهِ حَمْدِى سَرْمَداً غيرَ مُنْقَضٍ ... عَلَى مَا هَدَى حمْداً كثيراً مُرَدَّدَا